دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الوظيفة الدبلوماسية في القرن الـ 21
المصدر:	مجلة بحوث الشرق الأوسط
الناشر:	جامعة عين شمس - مركز بحوث الشرق الأوسط
المؤلف الرئيسي:	صالح، حمدي
المجلد/العدد:	ع35
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2014
الشهر:	سبتمبر
الصفحات:	539 - 570
رقم MD:	651384
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	القرن 21، العلاقات الدولية، الدبلوماسيون، العمل الدبلوماسي، السياسة الخارجية، النظم السياسية، الأيديولوجيات، السياسة الاقتصادية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/651384

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الوظيفة الدبلوماسية في القرن الـ ٢١

د. حمدي صالح*

المقدمة:

إن المقارنة بين مسرح العلاقات الدولية والدبلوماسية في مطلع القرن التاسع عشر عندما ظهرت أسس وقواعد الدبلوماسية الحديثة.

خاصة في مؤتمر فيينا ١٨١٥م، ومسرح العلاقات الدولية ودور الدبلوماسية في العقد الحالي من القرن ال ٢١ يظهر أن هناك عناصر استمرار وهناك أيضا عناصر تغير جذري في الحياة الدولية والدور الدبلوماسي.

فمسرح العلاقات الدولية في مطلع القرن التاسع كان عشر محدودا بالمكان والزمان وعدد الدول –لقد كان الدبلوماسيون الأوروبيون ماترينخ وتليران يجتمعون لكي يطرحوا صياغات لإعادة الاستقرار لأوروبا ولوضع قواعد للتحرك السياسي بعد الثورة الفرنسية وحروب نابليون، كان عدد الدول محدودا واللغة الدبلوماسية موحدة والمفاهيم التي تبسط في اللقاءات تكاد تكون مشتركة.

وكانت النظرتين التين سيطرتا على فكر الدبلوماسية في هذا العصر هي مفاهيم الوفاق الأوروبي Concert of Europe وتوازن القوى، وانتهى مؤتمر فيينا بوضع أسس للاستقرار في أوروبا استمرت لمدة مائة عام حتى عام ١٩١٤ عندما قامت الحرب العالمية الأولى.

لكن عالم اليوم يختلف جذريا عن عالم القرن التاسع عشر، ولم يعد عدد الفاعلين في النظام الدولي محدودا- فعدد الدول قد تزايد إلى مائتين دولة- بل لم تعد الدول هي الفاعلة الوحيدة في النظام الدولي، فظهر إلى جانبها المنظمات الدولية والإقليمية، والمنظمات غير الحكومية والإعلام الدولي، ثم الجماعات المسلحة غير الحكومية.

ولم تعد القواعد التي تحكم النظام الدولي ترتكز على مفاهيم التوافق وتوازن القوى لقد ظهرت مفاهيم أخرى تعبر عن مستويات مختلفة من الصراع والتنافس ما بين الفاعلين في النظام الدولي[١].

* مدير معهد العلاقات الدولية (جامعة الشارقة).

ولم تعد السياسة الخارجية- سرا بين الدبلوماسيين والقادة- بل أصبحت إلى حد كبير تتسم بالعلانية والشفافية، بل أيضا لم يعد هناك حواجز بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية وأصبح المحفل الدبلوماسي يتحرك على مسرح واحد داخليا وخارجيا.

لقد تغير المسرح الدولي تغيرا جذريا من حيث المشاركين فيه والمؤثرين عليه ومن حيث القضايا المطروحة عليه ومن حيث تسارع الأحداث وعلانيتها.

كيف يمكن للوظيفة الدبلوماسية أن تتوافق مع التطورات المتسارعة في القرن ال ٢١؟ وكيف تكون فعالة في مواجهة القوى الأخرى المؤثرة في العلاقات الدولية- من الإعلام والمنظمات غير الحكومية والدبلوماسية الشعبية والمبادرات الغير حكومية؟

أولا: الخريطة السياسية للعالم.

يتحدث هنري كسينجر، في كتابه "هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية"[٢] عن أن العالم يمكن تقسيمه إلى ثلاث دوائر، كل منها يتبع قواعد في الحركة السياسية تتشابه مع المراحل الثلاث التي مرت بها أوروبا في تطورها التاريخي منذ القرن السابع عشر حتى الآن.

فأوروبا الآن في القرن ال ١٢-تمثل مجموعة دول قد اتفقت على التعامل فيما بينها على أسس وقواعده ومحددة وثابتة وليس هناك إمكانية للتصادم المسلح بل إن معظم المشاكل والاختلافات هي اختلافات سياسية محدودة- أو اقتصادية يمكن حلها عن طريق المساومات والمفاوضات.

لكن أوروبا في القرن التاسع عشر وفي النصف الأول من القرن العشرين كانت مجموعة من الدول المتنازعة التي تحكمها أديولوجيات وأفكار مختلفة ويجمع بينها التنافس الاستعماري وبالتالي كان هناك دائما احتمال الاحتكام إلى القوة المسلحة ونشوب حرب- وإن كانت هذه الاحتمالات لم تكن دائمة أو عالية.

ويشير كيسنجر إلى أن هذا النموذج هو الأقرب إلى العلاقات بين الدول الآسيوية- خاصة عندما نتحدث عن العلاقات بين الهند وباكستان، كوريا الشمالية والجنوبية، الصين وجيرانها، ودول آسيا الوسطى.

وكانت أوروبا في القرن السابع عشر والثامن عشر مسرحا لصراعات أديولوجية ودينية كلفت القارة ملايين الضحايا، ولم يكن هناك إمكانية لحلها إلا بالصراع حتى وصل الأمر إلى إيجاد تسوية

شاملة في مؤتمر وستفاليا ١٦٤٥م- وهو يشبه هذا النموذج بما يحدث في الشرق الأوسط من الصراعات بين الدول ويضرب المثل- بإيران وجيرانها، وإسرائيل وجيرانها، والصراعات المتعددة في الشرق الأوسط.

وبناء على هذا التحليل فإن الوظيفة الدبلوماسية تتخذ أدوار مختلفة في كل مسرح- ففي المسرح الأوروبي القانون والمفاوضات المباشرة هي الأساس- وفي المسرح الآسيوي- تلعب الدبلوماسية دور المهدئ والموازن والموضح للنيات[٣]، حتى توضح للأطراف المعنية أن الطرف الآخر لا يعني الحرب (الهند وباكستان).

وفي مسرح الشرق الأوسط تصبح الدبلوماسية مفيدة بإيجاد أفكار وصيغ للتوازن بين القوى، وأفكار مبتكرة للبحث عن السلام والاستقرار.

إذا كانت هذه الرؤية التاريخية للمسارح الثلاث التي تشكل النظام الدولي في القرن ال ٢١ فإن التحليل السياسي في إطار التحليل الواقعي (Realism) قد طرح رؤيتين أخريين.

- **أولهما:** رؤية جيمس روزانو[٤] الذي طرح أن النظام العالمي الآن تمكن تقسيمه إلى نظامين- الأول يمثل النظام الدولي كما تعرفه تاريخيا- يمثل العلاقات بين الدول ذات السيادة وتحكمه القواعد المعروفة التي تطورت مع القانون الدولي وقواعد الدبلوماسية والعرف السائد في العلاقات الدولية والثاني هو نظام دولي آخر- ليس واضحا عدد الفاعلين فيه ولا درجة التفاعل بينهم، يشترك فيه فاعلين غير حكوميين- من منظمات دولية وإقليمية إلى مجموعات غير حكومية مرتبطة بالمجتمع المدني إلى مجموعات مسلحة غير حكومية- إلى أنماط أخرى يمكن أن تؤثر في المجتمع الدولي، وعلى من يعمل في العلاقات الدولية أن يأخذها في حسابه.

- **والرؤية الثانية:** يطرحها جوزيف ناي عن أن الولايات المتحدة الأمريكية عليها أن تتعامل وتتحرك على ثلاث مسارح متشابكة- الأول هو المسرح الدولي الاستراتيجي يعني بالقضايا الجيوبوليتيكية، والثاني هو المسرح الدولي الاقتصادي حيث القوى الفاعلة فيه ليست بالضرورة هي نفسها الفاعلة في المسرح الأول، والثالث هو مسرح القوى السياسية الغير حكومية والقوى المدنية[٥].

في إطار هذا يتضح أن الوظيفة الدبلوماسية عليها أن تتحرك على مستويات متعددة في نفس الوقت وأن يكون الممثل الدبلوماسي معتادا لتغير البيئة الدولية والقواعد التي تحكمها وفقا للمسارح المختلفة التي يتحرك فيها.

إن الدبلوماسية الجديدة تتحرك في بيئة دولية مختلف كل الاختلاف عن البيئة التي ظهرت فيها أسس الدبلوماسية التقليدية كما أنها تتفاعل مع نظام دولي يتغير ويتشكل بسرعة.

ثانيا: البيئة الدولية في القرن ال ٢١.

لقد تغيرت البيئة الدولية من عالم أوروبا المحدود العدد إلى عالم يشمل الجميع، من عالم يقوم على مفهوم السيادة المطلقة للدولة على أراضيها وعلى رعاياها إلى مفهوم السيادة المقيدة بميثاق الأمم المتحدة وقواعد التعاون الدولي.

لكن التغيرات في البيئة الدولية أكثر عمقا وأكثر تأثيرا على الحركة الدبلوماسية والسياسية من هذا الإطار العام.

أن هذه التغيرات قد أدت إلى تغير في مفهوم القوة وتوزيع القوى في الإطار الدولي وهو ما أثر على دور الدولة كمؤسسة سياسية- كذلك أثر على دور الفرد- المواطن- الذي أصبح فاعلا في الحياة السياسية، لقد طرحت التغيرات العميقة التي شهدتها البيئة الدولية في العقود الثلاث الماضية أجندة جديدة للعمل الدبلوماسي غير الأجندة التقليدية التي تعني بالأمن القومي والعلاقات بين الدول.

ففي خلال ثلاثين عاما سقطت آخر الإمبراطوريات ممثلة في الاتحاد السوفييتي عام ١٩٨٩م.

وتحولت دول أوروبا الشرقية نحو الديمقراطية وانتهت الحرب الباردة لتبدأ صفحة جديدة من الصراعات التي كانت كامنة تحت السطح، وظهر على السطح قوى جديدة تنازع النظام الدولي ككل، وظهرت مقولات عن الصراع بين الحضارات والثقافات.

أن البداية في تفهم البيئة الجديدة هي تفهم دور التغيرات التكنولوجية في عالمنا المعاصر والتحرك نحو العولمة Globalization وبادئ ذي بدء فإن أثار العولمة لم تظهر بشكل متساوي ومتوازن في كل أنحاء العالم فمازال هناك مناطق أقل تأثرا بكثير من غيرها، لكن آثارها شكلت الإطار الذي نعيش فيه جميعا.

إذ كانت من نتائج العولمة وتطورات السياسة الدولية أن تأثر دور الدولة واتسع دور الأفراد وانكمش دور الأيديولوجيات ليظهر عالم الاقتصاد باعتباره المحرك الأكبر للمصالح والتحركات

السياسية كما كان من نتائج العولمة أن زالت الفواصل بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية، وأصبح السياسي أو الدبلوماسي يتحرك على المسرح العالمي ككل.

وكان من نتائج العولمة ظهور قضايا جديدة لم تكن مطروحة بشكل جاد في العقود السابقة وكان من نتائج العولمة أن أصبح الإعلام الذي يغطي الأحداث على مدى ٢٤ ساعة في اليوم جزء لا يتجزأ من الحياة السياسية والحياة العامة- وكان من نتيجة العولمة ظهور الفاعلين الجدد في الساحة الداخلية والعالمية على حد سواء في التجمعات غير الحكومية أو المنظمات الأهلية أو الشركات العابرة للقارات.

وكان من نتيجة العولمة أن ظهرت على السطح مشاكل جديدة لم تكن في الحسبان وكانت كامنة في الوعي السياسي والثقافي للشعوب- بعضها يرتبط بذكريات قديمة أو مفاهيم غير واضحة على السطح، وظهرت ردود فعل عنيفة للعولمة تعبر عن الرغبة في الاحتفاظ بالذاتية الثقافية والتراث الحضاري الخاص بكل مجتمع أو شعب مهما كان محدودا في العدد.

لقد كان على الوظيفة الدبلوماسية أن تعكس هذه التطورات لأن العنصر الأكبر في هذه الوظيفة هو قدرتها على التحليل والاتصال- القدرة على فهم التطورات السياسية الداخلية والخارجية- وإيصال الرسالة السياسية المطلوبة إلى الطرف الآخر الذي لم يعد فقط في الإطار الرسمي وإنما أيضا في الإطار المجتمعي والشعبي.

١) العولمة ودور الفرد والمجتمع الدولي:

إن التغيرات السابقة قد انعكست على دور الفرد والمجتمع والدولة، لقد أدت العولمة إلى تمكين الفرد بشكل لم يكن متاحا في الماضي Empowerment لقد أصبح أمام الفرد- المواطن- مجالا للتعرف على ما يحدث- أن ثورة المعلومات Information Revolution قد أدت إلى أن يكون المواطن على علم بالتطورات السياسية والاقتصادية بشكل متسارع ومتكامل، بل أن المواطن الآن أصبح في عديد من المجتمعات يستخدم التكنولوجيا الحديثة للاتصال والتواصل مع الآخرين داخل وخارج حدود الدولة، وظهر ما يسمى بالمواطن الرقمي[٦] Digital Citizen الذي يتعامل مع الإعلام ومع الاتصالات من خلال ما يسمى بال Social Media.

أيضا ظهر على السطح إمكانية أن يتصل المواطنون بالآخرين عبر الحدود وداخل الحدود ويرتبطون بمن يشاركونهم الفكر والرأي والمصلحة- وظهرت ثورة في الاتحادات والتجمعات

Associational Revolution والتي جعلت الأفراد يتجمعون في أطر مختلفة لتحقيق مصالح أو تأييد مبادئ عامة(٧).

كان لهذا أثر على مفهوم الهوية Identity- حيث أصبح للمواطن ارتباطات وانتماءات متعددة وهو ما يجعل انتماءاته السياسية والثقافية متنوعة وأحيانا متضاربة، وظهر على وجه الخصوص هذا في أوضاع الجاليات المهاجرة من أفريقيا والشرق الأوسط والصين والهند وشرق آسيا إلى الدول الأوروبية والأمريكية، حيث تصطبغ الهوية بلونين، أحدهما جديد يحمل الهوية الجديدة التي حازها بعد هجرته، وآخر يحمل الصبغة القديمة وانتماءاته للوطن الذي جاء منه، وأصبحت هذه الجاليات تلعب دورا هاما في تطوير البلد الأم التي هاجروا منها ومثال ذلك (الجاليات الصينية والجاليات الهندية في الغرب).

بل ظهر أيضا اصطلاح المواطن العالمي(٨) Global Citizen الذي يهتم بالقضايا العالمية وليس له حدود Boundaries less:

وسواء كانت هذه المفاهيم مرتبطة بالنخبة أم أنها تنتشر تدريجيا، فإنه لا جدال في أن الغالبية العظمى من الذين يتعاملون مع وسائل الاتصال الحديثة (التليفون أو الإنترنت وقد انضما في جهاز واحد)- أصبحوا أكثر تأثرا بالفنون والأفكار القادمة من خارج الحدود عما كانوا من قبل.

إن أثر التكنولوجيا على الأبعاد الثلاث للحياة الإنسانية- الوقت والمسافة (أو المساحة) والكثافة قد غير كثيرا من طبيعة العلاقات بين الأفراد والمجتمعات- فلم تعد المسافات عائقا كما كانت في الماضي، وأصبح إحساس الفرد أو الجماعات بالمسافات والمساحات يختلف تماما، وأصبح التعاون بين الأفراد والمجتمعات في المجال الاقتصادي والثقافي أكثر سهولة نتيجة تلاشي آثار المسافات على التجارة.

وعلى حين أن الزمن في الماضي كان عنصرا حاسما- بمعنى أن التعرف على ما يحدث في منطقة بعيدة كان يأخذ وقتا طويلا أو قصيرا، فإن الآن عنصر الزمن في إيصال الأخبار والأفكار والأفراد والبضائع والخدمات قد تقلص لحد كبير، وأصبحت المعاملات الإنسانية سريعة ومتلاحقة نتيجة التطور التكنولوجي.

ونتيجة لهذه التطورات التكنولوجية في الاتصالات والمواصلات فإن كثافة اشتغال الأفراد والبضائع والمعلومات والأخبار أصبحت هائلة سواء عن طريق شبكات التلفزيون التي تقدم الأخبار

على مدار الساعة أو من خلال الإنترنت، ثم تداخل العناصر الأربعة للاتصال (الانترنت والتلفزيون، والتلفزيون والراديو) في جهاز واحد يمكن استخدامه في لحظات.

إن التطور الهائل في وسائل النقل للبضائع والأفراد أو التقدم الهائل في الطيران والسياحة، قد يسمح بتوسيع التجارة العالمية لدرجة غير مسبوقة وكذلك التوسع في السياحة وانتقال الأفراد للعمل أو الهجرة المؤقتة.

٢) انهيار الأيديولوجيات ونهاية الحرب العالمية:

إن هذه التطورات التي لحقت بحياة الفرد قد انعكست على المجتمع ككل- لقد أصبح التشابك ما بين المجتمعات أكثر كثافة وأكثر عمقا مما كان في الماضي.

لكن كان من نتيجة هذا التطور المزدوج من انتهاء الحرب الباردة واندفاع موجة العولمة تقلص إن لم يكن زوال دور الأيديولوجية في الحياة السياسية للمجتمعات Decline of Ideology وعلى حين أن انتماءات الفرد كان يمكن أن تقسم المجتمع إلى يساري ويميني- بمعنى أيديولوجي، فإن الآن هذه التقسيمات أصبحت مرتبطة أكثر بالاهتمامات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية[٩].

وعلى غير المتوقع فإن انهيار الأيديولوجيات ونهاية الحرب الباردة لم يؤدي إلى مزيد من التعاون والترابط بين المجتمعات، بل ظهرت مشكلة أكثر عمقا، وهي الانتماءات الدينية والعقائدية، وإذا بالمتشددين من الديانات السماوية الثلاث والديانات الأخرى يلعبون دورا أكبر في التوتر والصراعات المحلية والإقليمية والدولية- ففي الهند هناك صراع بين الهندوس والمسلمين، وفي بورما هناك أيضا صراعات بين البوذيين والمسلمين، ويوغسلافيا القديمة- ظهرت الحروب التي راح ضحيتها الآلاف من الأفراد في البوسنة في الصراع مع صربيا، وفي الصين أيضا صراعات عرقية بين المسلمين والحكومة.

وظهر في أمريكا وأوروبا الأصوليون الجدد Fundamentalist الذين راحوا يدفعون نحو التشدد في السياسة الخارجية والتمييز في السياسة الداخلية، والمحافظون الجدد Neo-conservatives الذين يدعون إلى العودة إلى سياسات الحرب الباردة[١٠].

ومن أكبر الأمثلة على إمكانية اشتعال مشكلة كبرى نتيجة الحساسيات الدينية- ما أثير عن الرسوم المسيئة عن نبي الإسلام حيث لم تصلح الدبلوماسية التقليدية في التعامل مع ما قد أوقدته

نيران التحيز وروجته وسائل الإعلام، قامت المظاهرات وانتشرت الصدمات في عام ٢٠٠٥م وأدت إلى تصادمات وتوترات دولية عميقة استمرت لفترة.

كذلك فإن العولمة قد تحركت بشكل أسرع في المجال الاقتصادي- لقد كان الاقتصاد هو المحرك الأول للعولمة يليه الإعلام.

ولقد أدت إلى ربح الأسواق التجارية والمالية بشكل غير مسبوق، وكانت النتيجة أنه أي أزمة اقتصادية تحدث في إحدى الاقتصاديات الرئيسية ستجد لها دوى في العالم كله(١١).

لقد تزايدت التعاملات التجارية بشكل غير مسبوق ودخلت سلع وبضائع لم تكن في إطار المعاملات التجارية من قبل، كذلك اتسع نطاق تجارة الخدمات وانتشرت ظاهرة التوريد Outsourcing في مجال الخدمات حيث من خلال وسائل الاتصال- الانترنت- يمكن أن تقدم خدمات من العاملين في الدول النامية إلى الدول المتقدمة(١٢).

كذلك اتسع نطاق السياحة بشكل غير مسبوق نتيجة التقدم في وسائل الاتصال والمواصلات وانخفاض تكاليفها، وكان من آثار ذلك تزايد أهمية اقتصاديات السياحة في مناطق مختلفة من العالم.

لقد تحول العالم إلى ساحة ثقافية واحدة، حيث أصبحت المنافسة الاقتصادية والتجارية عنصرا هاما وحاسما في الاقتصاد العالمي- وعبر عن هذا أحد رؤساء الشركات الهندية العاملة في المعلوماتية في الهند للكاتب الأمريكي توماس فريدمان: بأن العالم أصبح ملعبا مفتوحا أمام المتنافسين ولم يعد هناك حواجز- وخرج الكاتب الأمريكي ليكتب كتابا بعنوان "العالم أصبح مسطحا The World is Flat"(١٣).

وأصبح اقتصاديات المعرفة والتكنولوجيا عنصرا هاما في الاقتصاديات القومية، وأصبح الاستثمار في البحث العلمي والابتكار عنصرا حاسما في النمو الاقتصادي والمنافسة التجارية، أن الشركات الكبرى لا تستطيع أن تعيش دور مراكز البحث والتطبيق Research & Development.

وأصبحت الدول تنفق جزء هام من دخلها على البحث العلمي والابتكار وتتعاون في اجتذاب العقول والمبتكرين حيث أصبحت مشكلة في العالم الثالث (هروب المبتكرين والمبدعين Brain Drain).

لكن مفهوم القرية الواحدة Global Village الذي قد ذاع كمسمى للعولمة لم يصل بعد إلى قسم كبير من الإنسانية، إذ مازالت قطاعات كبيرة من الشعوب النامية محرومة من الاستفادة من إيجابيات العولمة في سرعة وكفاءة الاتصال وسهولة المواصلات وأصبحت تعان من سلبيات العولمة حيث أن ما يصل إليها من الجوانب السلبية التي يجعلها تخسر الفوائد التقليدية في حياتها الاجتماعية أو مميزاتها الاقتصادية القديمة أو إحساسها بنمو المجتمع المحلي أكبر من فوائد العولمة أن تصل إليها، وأصبحت المحاكاة للغرب أو التقاليد الواردة من الخارج عنصرا سلبيا في بعض المجتمعات.

ومن ناحية أخرى فإن تسارع العولمة والتي يربطها كثيرون بانتشار المفاهيم الغربية westernization أدت إلى ردود فعل عنيفة رافضة للعولمة ومعادية للمفاهيم الجديدة التي تطرحها الوسائل الجديدة في الاتصال أو المواصلات وغيرها(١٤)، كما أنها أدت إلى ظهور مجموعات منظمة وحركات غير منظمة معادية، باعتبار أن العولمة تهدد مفاهيمها التقليدية وقيمها وتراثها.

لقد كان الاقتصاد أسرع وأكثر فاعلية في الاستفادة من الثورة التكنولوجية التي أدت إلى العولمة من عالم السياسة وكان لهذا آثار سلبية عديدة.

ثالثا: الدبلوماسية والنظام الدولي.

الدبلوماسية: باعتبارها فن إدارة العلاقات بين الدول والمجتمعات تتحرك في البيئة الدولية المتغيرة وتلتزم بقواعد النظام الدولي الذي استقر في العقد الثاني من القرن ال ٢١.

والدبلوماسية في مفهومها التقليدي هي فن حل المشاكل من خلال المفاوضات وتقريب الروابط بين الدول والمجتمعات "Adjustment of disputes through negotiations"(١٥).

ولكن هذا يمكن فقط في حالة هناك اتفاق عام على النظام الدولي وقواعده، وعندما تكون هناك قوى دولية ترفض النظام الدولي وقواعده، مثل ألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية، وإيران في الفترة الحالية، فإن الدبلوماسية عليها أن تطور أساليب جديدة للتعامل مع هذه القوى.

كذلك لم يعد النظام الدولي دوليا فقط، فقد أصبح فيه فاعلين متعددين غير الدولة، وساعدت ثورة التكنولوجيا والمعلومات على دخول هذه القوى إلى الساحة الدولية(١٦).

وهنا تحتاج الدبلوماسية أن تطور إطار للتعامل مع هذه القوى الجديدة.

أيضا أصبح النظام الدولي يمثل تداخلا بين ما هو جيوبوليتيكيي- أو عناصر القوة المسلحة والوزن السياسي وما هو جيو اقتصادي أو عناصر القوة الاقتصادية والوزن الاقتصادي.

إن الرؤية الدبلوماسية للنظام الدولي، والتي تقترب من الممارسة أكثر منها من التنظير ترى النظام الدولي على مستويات أربع- العلاقات الثنائية بين الدول، العلاقات الإقليمية بين دول المنطقة الجغرافية المحيطة، المنظمات الدولية والاتفاقات الدولية، ثم المجتمع الدولي ككل والذي يشمل القوى غير الحكومية والقوى غير الرسمية بين هذه التجمعات.

وينظم النظام الدولي عدة مستويات من القواعد والقوانين، بعضها جزء من القوانين والقواعد الوطنية المحلية، وبعضها قواعد دولية عامية، وبعضها قواعد خاصة، وهناك حالات ليس لها قواعد إلى الآن.

"The rules of the game include some national rules, some international rules, some private rules- and large areas of no rules at all".(17)

كذلك فإن النظام الدولي يحمل في داخله أيضا إطارا مختلفا لتوزيع القوى Regime، ويكون على الممثل الدبلوماسي أن يتحرك ما بين المجالين- النظام القانوني، وإطار توزيع القوى Regime لكي يحقق أهداف دولتين خلال المفاوضات والمساومات والتفاهمات(١٨).

١) العلاقات الثنائية:

ما تزال العلاقات الثنائية بين الدول هي المحور الأول والأساسي في العلاقات الدولية- فرغم التحرك نحو إنشاء منظمات دولية وإقليمية عديدة إلى أن العلاقات الثنائية تكاد تحكم التحركات داخل هذه المنظمات والتجمعات.

وفي المنظمات الدولية تستخدم عبارات نقل تبادل الميزات Trading Horses، كوسيلة للمساومات والاتفاقيات بين الدول داخل المحافل الدولية.

أن تطوير العلاقات الثقافية في مجالاتها السياسية والدفاعية والاقتصادية والثقافية هي أساس العمل الدبلوماسي، وهنا يتضح أن هناك نوعان من الموضوعات التي تحرك الدبلوماسية في القرن ال ١٢، ل...- أولها- ما يسنى بالأجندة التقليدية والتي ترتكز على الأمن والتجارة والتعاون الاقتصادي.

وثانيها- ما يسمى (بالأجندة الجديدة New Agenda) والتي تتبنى قضايا مطروحة أصبحت ذات أهمية استراتيجية كبيرة ومنها مجال الصراع الجوي) أنظر صراع الصين مع جيرانها (وقضايا المناخ ومكافحة الجريمة والإرهاب والتعاون التكنولوجي وغيرها.

"The traditional agenda of international affairs- the balance among major powers, the security of nations- no longer defines our perils or our possibilities… Now we are entering a new era. Old international patterns are crumbling; old slogans are uninstructive; old solutions arte unveiling. The world has become interdependent in economies, in communications, in human aspiration".(19)

وسواء أخذنا بالتقسيم الذي عرضه هنري كينسجر للنظام الدولي- باعتباره يتكون من أربعة دوائر- أوروبا والولايات المتحدة واليابان- حيث تطبيق مفاهيم الديمقراطية والعمل الجماعي- آسيا حيث الدول تتحرك من منطق جيوبوليتيكي وتواصل تحالفها من أجل الأمن وصراعاتها، والشرق الأوسط باعتباره مجالا للصراعات الأيديولوجية والعقيدية والدينية، وأفريقيا باعتبارها قارة تسعى للتنمية وتواجه حروب وصراعات ومجاعات ومشاكل عدة لو أخذنا بتقسيمات أخرى.

أو أخذنا بالتقسيم الذي يعرضه جوزيف ناي باعتباره العالم ينقسم إلى ثلاث دوائر- دائرة ما بعد الحداثة Post Modern، وتضم أيضا أوروبا والولايات المتحدة واليابان، ودائرة القوة التقليدية التي تضم آسيا والشرق الأوسط ودائرة القوى الضعيفة والصغير والتي لا تسيطر عليها تحركات الاستراتيجية.

فإن التحرك الدبلوماسي في كل دائرة لابد وأن يأخذ باعتباره احتياجات واهتمامات الدولة التي يعمل بها الدبلوماسي.

فالمجتمعات كما يقول كينسجر "تتواجد في التاريخ قبل أن تتواجد في الجغرافيا.

"societies exist in history before geography"(20)

وهذا يعني أن الإطار التاريخي للمجتمع والسياق السياسي والجيوبوليتيكي للدولة يحدد اهتماماتها وانتماءاتها وقيمها وأهدافها.

إن التعاون مع دول الدائرة الأولى- يمكن أن يرتكز على تحكيم القانون الدولي من ناحية، والمنطق الاقتصادي البرجماتي من ناحية أخرى، كما يجب أن يستفيد من مجالات التحرك في المجتمع المفتوح للاتصال ليس فقط بالمؤسسات الحكومية وإنما أيضا المجتمع ككل(٢١).

كذلك يكون من المهم تفهم الصراعات داخل الحكومات والإدارات سواء كان بسبب تنافس على الأدوار أو صراع بين مؤسسات بيروقراطية، مثال ذلك في الولايات المتحدة الأمريكية،

التنافس المستمر بين وزارة الدفاع ووزارة الخارجية، وكذلك بين مستشار الأمن القومي من البيت الأبيض.

الدائرة الثانية، وفي التعامل مع دول آسيا، حيث البعد الجيوبوليتيكي، يجب على الدبلوماسية أن تكون حساسة للصراعات الناشئة والعدائية بين الدول والمجتمعات.

لقد كان من أخطاء السياسة الأمريكية خلال حرب فيتنام، أنها لم تأخذ في اعتبارها العداء بين الشعب الفيتنامي اتجاه الهيمنة الصينية تاريخيا، لذلك استمرت الحرب بين الولايات المتحدة الأمريكية وفيتنام– مدعومة من الصين لفترات طويلة.

كذلك يكون من المهم تفهم النظام السياسي الداخلي وطبيعة الصراع بين القوى السياسية داخل الإطار السياسي وفي الإطار البيروقراطي بمعنى الصراع بين مؤسسات بيروقراطية داخل الحكومة نفسها.

وفي التعامل مع الشرق الأوسط، الدائرة الثالثة فإن القضية المحورية، فإن كانت دائما هي الصراع بين إسرائيل والعالم العربي، وكان هناك تصور لدى الغرب أن الدبلوماسية في الشرق الأوسط ما يسمى بدبلوماسية القضية الواحدة، فهو لابد أن يتحدث عن هذه القضية في كل مجال، لكن التطورات الأخيرة، أدت إلى تعدد بنود الصراع والحساسية في منطقة الشرق الأوسط، سواء من الصراعات الداخلية داخل الدول العربية في المشرق العربي أو التهديدات المستمرة من دول الجوار (إيران وتركيا)، أو المشاكل المتعلقة بالمياه الإقليمية واكتشافات الغاز والبترول، إلى المشاكل الاقتصادية والأزمات المختلفة التي تواجه هذه المجتمعات.

من هنا فإن الدبلوماسية تتحرك من منطق تشابك القضايا وتوازن بين الدور الأساسي الذي تسعى إليه الدولة الذي يمثلها الدبلوماسي والمتطلبات التي تضغط من أجلها الدولة المستقبلة.

وفي إفريقيا تكون قضية التنمية وحل مشاكل الفقر والمرض أهم محور دبلوماسي، يكون هناك أيضا التعاون الاقتصادي والسياسي من، هنا يكون دور الدبلوماسية هو البحث عن نقاط الاتفاق بين الدولة المرسلة ومصالح الدولة المستقبلة.

لكن في إدارة العلاقات الثنائية تظهر أربعة ملاحظات هامة تتعلق بتطور مفهوم القوة في العلاقات الدولية:

- أولها: أن مفهوم القوة قد تحرك من استخدام وزن الدولة العسكري وإمكانياتها الاقتصادية إلى استخدام وزن الدولة الثقافي والحضاري، وبدأت الدول الكبرى في التركيز على مفهوم القوة الناعمة Soft Power.

وهنا يكون دور الدبلوماسية في تحديد نقاط القوة لدى الدولة المرسلة في إطار القوة الناعمة واستخدامها أفضل استخدام من خلال الأطر ثقافية والحضارية مرتبطة بالتعاون الاقتصادي والتكنولوجي، ويأخذ الدبلوماسي في الحسبان أن القسم الأكبر من إمكانيات القوة الناعمة ليست تحت سيطرة الدولة أو من إنتاجها وإنما من إنتاج المجتمع المدني(٢٢).

- ثانيا: أن طبيعة العلاقات بين الدول الكبرى والصغرى تعكس عدم التوازن بين قوى الدول المختلفة، وهنا تأتي مشكلة أن الدول الكبرى قد لا تطبق قواعد القانون الدولي والدبلوماسي بنفس التفسير الذي تتبناه الدول الصغرى، بل أن الولايات المتحدة الأمريكية بالذات تطبق تفسيرا ضيقا للغاية لهذه القواعد.

وهو ما يخلق حساسيات متعددة مع الدول الصغيرة والمتوسطة، وهنا تكمن أهمية أن تتعامل الدبلوماسية من منطقة تشابك الموضوعات Issue Linkage، وهو يعني أن المواضيع التي تكون كالدول الضعيفة فيها وزن كبير يمكن أن تكون أداه في مرحلة المساومات والمفاوضات (مثال ذلك اهتمام الدول الكبرى بتصويت الدول الصغرى في المنظمات الدولية في قضايا اقتصاديا هامة).

- ثالثا: أن مجال الدبلوماسية في التحرك هو في المساحة الواقعة بين النظام الدولي International System، والإطار الدولي لتوزيع القوى Regime، وهو ما يعني أن الدول الصغرى يمكنها أن تمارس أدوارا أكبر من وزنها العسكري أو الاقتصادي في قضايا مرتبطة بالأجندة الجديدة أو القديمة عندما يكون لها قدرة على المساومة والمفاوضة Bargaining.

- رابعا: أن العلاقات الدولية بين الدول في النهاية علاقات بين مجتمعات وإذا استطاعت الدبلوماسية أن تطور من مفهوم تشابك المجتمعات Social Linkage. فإنها تجعل من تحقيق أهدافها من الاستقرار والأمن والسلام وزيادة التعاون الاقتصادي أقل صعوبة.

٢) العلاقات الإقليمية:

ترتكز دوائر اهتمام أي دول على المنطقة المحيطة بها أولا ثم المدار الأوسع عالميا. وفي هذا الإطار الإقليمي تلعب العلاقات الثنائية دورا محوريا كما أن في الإطار الإقليمي هناك ثلاث مستويات من الأنظمة الإقليمية.

أ- النظام الإقليمي في إطار منظمة إقليمية- كالجامعة العربية أو المؤتمر الإسلامي، أو مجلس التعاون الخليجي في منطقة الشرق الأوسط، أو الاتحاد الأوروبي أو المنظمات الإقليمية في آسيا وأمريكا وأمريكا اللاتينية، بل إن الدول الكبرى ومنها الولايات المتحدة تسعى لإنشاء منظمات إقليمية تساندها على تحقيق أهدافها، وكان أولها إنشاء منظمة الدول الأمريكية ومقرها واشنطن، والتي تضم دول أمريكا اللاتينية جميعها (كوبا مستبعدة حاليا)، ودور المنظمات الإقليمية الأساسي أن تخلق منبرا ومجالا Platform لمناقشة القضايا الإقليمية والعالمية وإيجاد إطار من التنسيق بينها وبين أعضائها.

ب- في الإطار الإقليمي أيضا هناك، إطارا لتوزيع القوى بين الدول المختلفة Power Distribution وهو ما يجعل الإطار الإقليمي ينقسم في تجمعات منظمة أو غير منظمة أو غير مرتبة بين مجموعات من الدول للحفاظ على مصالحها في مواجهة محاولة طرف من الأطراف الهجوم أو الهيمنة، وتغيير التحالفات بتغير الظروف والتغير المواضيع Issues.

ج- في الإطار الإقليمي أيضا ينشأ ما يسمى بالمجتمع الإقليمي الذي يضم منظمات غير حكومية وشركات كبرى ومؤسسات إعلامية وشبكات مصالح تستطيع أن تؤثر على السياسات الداخلية والخارجية للدول، بل أن هناك القوى الغير المنظمة التي تستخدم القوة المسلحة أو العنف والإرهاب.

ويكون على الدبلوماسية أن تأخذ في اعتبارها هذه المستويات الثلاث من توزيع القوى والأدوار في الإطار الإقليمي، وأن تحدد أهدافها وفقا لما يمكن تحقيقه في هذا الإطار.

وقد أدى إنشاء المنظمات الإقليمية بكثافة في العقدين الماضيين إلى تزايد الضغوط على الوظيفة الدبلوماسية وأصبحت المنظمات الإقليمية تمثل مجالا فاعلا مهما ومؤثرا في السياسات الإقليمية.

ومن ناحية أخرى نسجل ظهور تجمعات إقليمية ثم عدم استمرارها وهو من سمات منطقة الشرق الأوسط- حيث ظهرت تجمعات إقليمية ما بين مصر والعراق وسوريا- ثم انتهت وتجمعات المغرب العربي- وتجمعات مصر والسودان وليبيا.

هذه التجمعات بذلت فيها الدبلوماسية جهدا كبيرا ولكن لم تنجح في بناءها نتيجة أن المناخ السياسي لم يكن مساعدا لنجاحها.

على حين أن التجمعات الإقليمية التي أنشأت على خلفية سياسية مواتية نجحت واستمرت بشكل فعال ومنها مجلس التعاون الخليجي- في المنطقة العربية.

أما التجمع الإقليمي الأشمل، هو الجامعة العربية فقد استمرت في أداء دورها بشكل أو بآخر رغم الهزات[٢٣] العنيفة التي واجهتها ومنها انتقال الجامعة العربية إلى تونس في فترة الثمانينات.

وبالإضافة إلى هذا ظهرت التجمعات التي تجمع أقاليم متعددة ومنها تجمع OPEC البترولي وتجمع OPAC- الذي يجمع الولايات المتحدة بالدول الباسيفيكية.

٣) المنظمات الدولية والاتفاقيات الدولية:

في عام ٢٠٠٥ تحدث سفير الولايات المتحدة في الأمم المتحدة- جون بولتون- وذكر أن الأمم المتحدة كمنظمة لا وجود لها، أنما هي مقر تجتمع فيه الدول المستقلة ذات السيادة، لتقرر ماذا تريد عمله، أي أنا المنظمة ليس لها دور مستقل وأنها هي تلعب الدور الذي يراه الأعضاء.

ومن ناحية أخرى ظهر من يدافع عن الأمم المتحدة ويعطي أمثلة على أن لها دورا مستقلا، بعيدا عن عن تحالفات وصراعات الأعضاء.

لكن من هذين الجانبين المتناقضين بمكن تحديد الدور الحقيقي للأمم المتحدة فإننا بنجد أن الأمم المتحدة أصبح لها دور حقيقي في المجتمع الدولي، فهي تمثل المجتمع الدولي بشكل عام، وما تعبر عنه قراراتها الصادرة من الجمعية العامة أو مجلس الأمن، يمثل الإنجازات الرئيسية في المجتمع الدولي، فالأمم المتحدة تلعب أدوارا ثلاثة: فهي فاعل Actor- ولكنها هي أيضا مساحة للحوار الدولي Platform وهي مصدر Source للقوة والمعلومات وللتواجد للدول الصغيرة والمتوسطة.

وإذ يعتبر ميثاق الأمم المتحدة دستور النظام الدولي فإنه يطرح مفاهيم فلسفية وأخلاقية ومفاهيم قانونية:

٤) المفاهيم الفلسفية: تعبر عنها ديباجية الميثاق حيث يتحدث عن أن الدول الأعضاء يجب أن تتعامل مع بعضها من إطار التسامح والجيرة الحسنة والحفاظ على السلام وتحقيق القضية والنمو للجميع.

٥) المفاهيم القانونية: فإنها ترتكز على ثلاث مبادئ أساسية وهي المساواة بين الدول ذات سيادة- وتحريم استخدام القوة بين الدول الأعضاء إلا في حالة الدفاع عن النفس والمساواة في حقوق الإنسان، والمساواة بين النساء والرجال Gender Equality ومن أهم المبادئ التي جاء بها الميثاق" مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للأعضاء واحترام السيادة" (article{٧}) لكنه يضع هذا المبدأ بشكل غامض إذ يذكر أن الأمم المتحدة- (مجلس الأمن) لن يتدخل فيما هو أساسا Essentially في الشؤون الداخلية- وهنا ظهرت مشكلة تعريف ما هو الأساسي وما القانون في الشؤون الداخلية التي يمكن أن تتدخل فيها الأمم المتحدة- كما أن المادة ٣٩ من الباب السابع أيضا ذكرت أن مجلس الأمن يمكن أن يتدخل في كل ما يهدد الأمن الدولي والسلام العالمي، ولكن تحديد ما يمكن أن يهدد الأمن الدولي والسلام العالمي ترك دون صياغة واضحة، وهو ما جعل لمجلس الأمن حق تحديد ما هو الذي يهدد السلام العالمي(٢٤).

على أن مجلس الأمن في العقود السبعة الماضية منذ إنشاء الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م وقد اختار أن يستخدم سلطاته في التدخل بخصوص الحفاظ على الأمن والاستقرار الدولي بشكل أو محافظ Conservatively والبعض يقول أنه بشكل انتقائي Selectively بناء على مصالح الدول الكبرى دائمة العضوية في مجلس الأمن.

إن الدور الأساسي لمجلس الأمن في الحفاظ على السلم والأمن الدوليين يعكس أيضا الدور المحوري الذي تلعبه الدول الخمس دائمة العضوية في النظام العالمي ككل، وعلى حين أن الدول دائمة العضوية ليست كلها بالضرورة أهم الفاعلين في النظام الدولي، فإن استبعاد اليابان والبرازيل وألمانيا، وكذلك عدم مشاركة الدول الصاعدة في النظام الدولي، مثل (الهند أو البرازيل) تلقي ظلالا على مفهوم الدول دائمة العضوية، فضلا عن مطالبات الدول من القارات الخمس بدور أكبر في مجلس الأمن ومن هنا نجد أن قضية إصلاح مجلس الأمن ما تزال موضوع مناقشات مطولة دون الوصول إلى نتائج بسبب عدم جدية الدول دائمة العضوية في تقبل التعديل أو التوسيع.

لكن الأمم المتحدة رغم كل هذه الملاحظات تقوم بدور جوهري في النظام الدولي- ليس فقط في الإطار السياسي متمثلا في مجلس الأمن والجمعية العامة، التي تمثل منبرا محوريا لرؤساء الدول

في افتتاح الجمعية العامة في كل عام في سبتمبر حيث تتبارى رؤساء الدول ووزراء الخارجية على تقديم إطار عام لسياستهم والدعوة للأفكار والمبادرات الإقليمية والدولية.

وأيضا تلعب الأمم المتحدة دورا جوهريا في المجالات المختلفة للحياة الدولية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والمناخية والعلمية، فمؤتمرات الأمم المتحدة المختلفة في شتى المجالات من: البيئة، حقوق المرأة، للتنمية، تمثل زخما عالميا للتحرك نحو أهداف دولية مشتركة.

كما أن وكالاتها المتخصصة تلعب دورا جوهريا في تطوير التعاون بين الدول في المجالات السابق ذكرها.

ورغم ذلك فإن هناك فجوة كبيرة من الأمم المتحدة كإطار فلسفي وقانوني وضع في الميثاق وتطور بالبيانات المختلفة التي صدرت عن الاجتماع الدولي، والدور الحقيقي الذي تلعبه المنظمة الدولية، حيث تجد هناك كثير من الانتقادات للممارسة وعدم الفعالية.

٦) التحرك الدولي خارج الأمم المتحدة:

تتحرك الدول في ثلاث مجالات خارج إطار الأمم المتحدة:

أ- في المفاوضات التي تجد الدول الكبرى أنها تستطيع أن تمارسها لتحقيق أهداف تتوازى مع أهداف الأمم المتحدة، ومنها مفاوضات الدول ٥+ ١ مع إيران ومفاوضات الدول الستة مع كوريا الشمالية وغيرها، للوصول إلى اتفاقيات حول الحد من انتشار الأسلحة النووية وحصول الدولتين عليها.

ب- تحرك الدول الكبرى لتحقيق أهداف لا يكون هناك اتفاق عليها في مجلس الأمن ومن ذلك تحرك الولايات المتحدة ضد العراق في الحرب العراقية الثانية في إطار ما أسماه الرئيس الأمريكي حينذاك- تحالف الراغبين Alliance of the Willing

ج- الاتفاقات المبرمة بين الدول الكبرى المنتجة للتكنولوجيا المتطورة في التسلح لمنع تصديرها إلى الدول الأخرى ومنها ستة اتفاقيات رئيسية:

- لجنة زانجار The zangger committee ١٩٧٤م حيث اتفقت كافة الدول على أن تحتفظ بمفاهيم بالأحداث المرتبطة بالتكنولوجيا النووية- لا تصدرها إلا بموافقة وكالة الطاقة النووية (إحدى وكالات الأمم المتحدة).

- مجموعة المصدرين النوويين The nuclear Suppliers group ١٩٧٥م، وهي اتفاقية بين ٤٦ دولة مصدرة للقدرات التكنولوجية النووية للتأكيد على أن أي صادرات لا يمكن أن تستخدم إلا في الاستخدامات السلمية للطاقة النووية.

- مجموعة استراليا The Australia Group ١٩٨٥م وهي اتفاقية غير رسمية بين ٤١ دولة لمنع تصدير المواد التي يمكن استخدامها في صناعة الأسلحة الكيماوية.

- مجموعة واسينار the wassenaar arrangement ١٩٦٦م لتقييد تصدير الأسلحة التقليدية وذات الاستخدام المزدوج وتضم أربعين دولة.

- نظام تقييد تكنولوجيا الصواريخ the missile technology control regime ١٩٨٧م، وهي اتفاق غير رسمي بين ثلاثين دولة على عدم تصدير تكنولوجيا الصواريخ، وتبعها اتفاق دولي the international code على هذا عام ٢٠٠٢م واتفقت عليه ١١٩ دولة(٢٥).

رابعا: المجتمع العالمي والفاعلين الجدد:

لكن الساحة الدولية الآن تزدحم بفاعلين جدد غير الدول، وأصبحت السياسة الدولية مجالا لتحركها أيضا ومن هذه القوى الجديدة أربع رئيسية- الشركات المتعددة الجنسية العملاقة- المنظمات غير الحكومية المتعددة الجنسية- الإعلام الدولي العابر للحدود- المنظمات غير الحكومية المسلحة والتي تستخدم العنف.

وبعد أن كانت الوظيفة الدبلوماسية تعبر عن التفاعل بين الحكومات ورؤساء الدول ووزراء الخارجية والدبلوماسيين، أصبحت الآن مطالبة بأن تتفاعل مع هؤلاء الفاعلين الجدد الذين أصبحوا مؤثرين بدرجة كبيرة.

١) الشركات متعددة الجنسية العملاقة:

أن قضية المناخ تعطي نموذجا للدور الفعال الذي تلعبه الشركات متعددة الجنسية العملاقة في المجال الدولي، الرسمي وغير الرسمي.

ففي عام ١٩٨٩م اجتمعت مجموعة من الشركات الدولية العملاقة لكي تستعد للمؤتمر الذي تنوي الأمم المتحدة عقده في عام ١٩٩٢م عن "تغير المناخ والبيئة"، وسميت هذه المجموعة. Global Climate Coordination.

واستطاعت هذه المجموعة أن تقنع الإدارة الأمريكية بعدم التوقيع على الاتفاق الذي توصل إليه المؤتمر وأن تجعل قرارات المؤتمر توصيات فقط، ثم استطاعت أيضا أن تؤثر على إدارة الولايات المتحدة في عام ١٩٩٧م حتى لا توقع على الاتفاق الذي توصل إليه مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة، والذي عرف ب Kyoto protocol[٢٦].

لقد ظهر مفهوم جديد يجمع هذه الشركات العملاقة في إطار طبقة رأسمالية دولية International Capital Class[٢٧].

ولقد كان من الطبيعي في بداية هذا القرن أن يتعامل الدبلوماسيون مع الشركات العملاقة– والتي أصبحت متعددة الجنسية Multinationals والتي كانت تسيطر على اقتصاديات دول متعددة في العالم الثالث.

إن قصة سيطرة شركة الفواكه المتحدة ومقرها كاليفورنيا على العديد من دول أمريكا الوسطى والتي سميت وقتها بجمهوريات الموز معروفة إذ كانت الشركة كانت تستطيع أن تغير الحكومات ورؤساء الدول في هذه الجمهوريات الصغيرة– وكان الدبلوماسيون الغربيون يتعاملون معها باعتبارها القوة المسيطرة.

وعلى الرغم من أن هذا يعتبر نموذجا استثنائيا– إلا أن نفوذ شركات البترول في الأربعينات والخمسينات على الدول المنتجة للبترول في الشرق الأوسط كان كبيرا وكان الدبلوماسيون يتعاملون معها من هذا المنطلق.

كذلك فإن الشركات المنتجة للمطاط كانت تسيطر على إنتاج المطاط في أربعينات القرن الماضي وكذلك الشركات المصدرة والمستوردة للمنتجات الخام والمواد الزراعية الآن لها دور كبير في معظم دول العالم الثالث.

ويثار تساؤل حول من يستخدم من– هل الدول تستخدم الشركات العملاقة في زيادة نفوذها؟– وهو الاعتقاد السائد في دول العالم الثالث، أم أن الشركات العملاقة تستخدم الدول والحكومات الغربية لتحقيق أهدافها في الأرباح والاتساع؟، وهو الاعتقاد السائد في الدول الصناعية المتقدمة.

إن جولات الرئيس الأمريكي جورج بوش لصالح الشركات الأمريكية لتصدير الطائرات أو للبناء أو شركات تكنولوجيا المعلومات قد وضح مدى تدخل الدولة لصالح هذه الشركات.

ومن ناحية أخرى فإن ضغوط الشركات على بعض الدول الصغيرة في أفريقيا وآسيا للتصويت مع مواقف الولايات المتحدة تقدم نموذجا تحليليا لعمل هذه الشركات وفق مصالح الدولة- من هنا يتبين أن العلاقة بينهما تبادلية.

٢) المنظمات الدولية غير الحكومية:

لقد ازداد عدد المنظمات الدولية غير الحكومية بشكل كبير في العقدين الأخيرين وتشير بعض الإحصائيات أنها وصلت إلى ٣٧ ألف منظمة وجمعية- ويتركز معظمها في الدول الصناعية المتقدمة.

وتحوز هذه المنظمات على الشرعية من الرأي العام ومنها مؤسسات تستطيع أن تحرك الرأي العام في القضايا الإنسانية ومن أمثلتها:

- منظمة العفو الدولية Amnesty International
- منظمة الصليب الأحمر والهلال الأحمر
- منظمة أطباء بلا حدود Médecins Sans Frontières
- منظمة مراقبة حقوق الإنسان Human Rights Watch

وليس فقط تستطيع هذه المنظمات أن تؤثر على الرأي العام بل إنها تستطيع أن تغير الأجندة الدولية بالتركيز على موضوعات رئيسية تهم الرأي العالمي.

٣) الإعلام العابر للحدود:

كان ظهور قناة CNN في نهاية الثمانينات نقطة فاصلة في تحول الإعلام إلى قوة مؤثرة وفعالة في العلاقات الدولية.

لقد أصبحت التطورات الإخبارية والإعلام الدولي عنصرا هاما في حسابات الدبلوماسية والسياسية.

وأصبحت الدبلوماسية تحسب حسابات دقيقة لما يمكن أن يقدم الإعلام عن التطورات الدولية أو الإقليمية أو الداخلية في كل دولة.

وكانت نتيجة تزايد دور الإعلام أنه أنشأت معظم وزارات الخارجية إدارات للصحافة والإعلام وصنفت صفحة خاصة رسميا باسم الخارجية ثم أنشأت الدول الكبرى منصب مساعد وزير الخارجية الدبلوماسية العامة.

في وزارة الخارجية الأمريكية منصب (Undersecretary for public Affairs)[٢٨].
لكن الوظيفة الدبلوماسية ما تزال قاصرة عن التعامل بشكل فعال مع الإعلام حيث تتناقض طبيعة العمل الدبلوماسي التقليدي المبني على السرية مع انفتاح الإعلام- كذلك فإن معظم وزارات الخارجية تفرض قيودا على مشاركة الدبلوماسيين في البرامج الإعلامية، وهو ما يحتاج إلى إعادة نظر وإعداد الدبلوماسيين بشكل أكبر للتفاعل مع وسائل الإعلام[٢٩].

٤) الفاعلين غير الحكوميين المستخدمين للعنف:

ومن القضايا الرئيسية التي أصبح على الدبلوماسية أن تحكمها وتواجهها وتتفاعل معها، قضية ظهور القوى غير الحكومية المستخدمة للعنف، ورغم أن هذه الظاهرة مرتبطة بضعف الدولة، وظهور ما يسمى الدولة الفاشلة Failed State، إلا أن هناك أيضا قوى دولية تستخدم العنف على مستوى دول ومنها تنظيم القاعدة.

وقد درجت الدبلوماسية على اعتبار هذه المشاكل مرتبطة بقطاع الأمن وبالتالي فان تحديدها ومواجهتها مرتبطة بالأمن ومؤسسات الدفاع الوطني.

ولكن لان الدبلوماسية تواجه زخما من المعلومات- وتهديدات مباشرة من هذه القوى في بعض الأحيان بالإضافة إلى تزايد الأبعاد السياسية والاجتماعية لها، إن في هذه العناصر تجعلها موضع اهتمام الدبلوماسية في القرن ال ٢١.

لقد انتشرت القوى الغير حكومية المستخدمة للعنف في العقدين الماضيين وبالرغم من أن هناك نماذج سابقة في أوروبا، معظم الجيش الأحمر في إيطاليا ومنظمة الجيش الايرلندي إلا أنه لم لها صفة العالمية كما نرى الآن حيث ظهرت هذه القوى تتخذه متكأ للشرعية، قضايا أيديولوجية أو اقتصادية أو إقليمية أو اجتماعية وأخير وأهمها الدينية.

ويتضح دورها في عديد من الدول التي تشهد تراجعا في دور الدولة مثل لبنان والعراق واليمن وانهيار دور الدولة مثل أفغانستان والصومال وليبيا.

ويمكن تقسيم هؤلاء الفاعلين المسلحين إلى أربعة نماذج: أولها الفاعلون الأمنيون الذين يسعون لتحقيق أهداف سياسية محدودة ومنهم أمراء الحرب في الصومال وأفغانستان والجماعات المحاربة للدولة والفوضويون، ثم هناك الجماعات الدينية والتي تطرح رؤية دينية تختلف في قيمها عن المجتمع الذي تعيش فيه.

ثم جماعات الجريمة المنظمة والتي تتحرك بلا حدود لتنظيم مؤامرات وجرائم متعددة الأشكال، ثم شركات الأمن الخاصة التي يمكن استخدامها بتنفيذ عمليات... بصرف النظر عن الغطاء السياسي والايدولوجي، كذلك يمكن تقسيم هذه القوى إلى نوعين حسب النطاق الجغرافي لحركتها- منها التي تعمل في نطاق الدولة وتلك التي تعمل خارج نطاق الدولة وعلى اتساع خريطة العالم.

ويمكن إرجاع أسباب ظهور هذه الجماعات إلى خمس عناصر:

١. ضعف الدولة وعدم قدرتها على تحقيق الأمن أو إيجاد الفرص الاقتصادية المناسبة أو المشاركة السياسية لمواطنيها.

٢. اتساع تجارة السلاح في الفترة الأخيرة وتهريب المعدات الحربية، نتيجة تفكك عدة دول ومن بينها ما حدث في ليبيا والعراق.

٣. اتساع نطاق الاقتصاد المحظور، سواء غسيل الأموال أو تجارة المخدرات حيث تمثل زراعة الأفيون في أفغانستان المصدر الأساسي للدخل لأفراد الحرب من ناحية ولتنظيم القاعدة من ناحية أخرى.

٤. حول الولاءات على المستويات الاجتماعية المختلفة، على مستوى الفرد أو الجماعة، وظهور ولاءات جديدة تؤدي لانخراط الأفراد في عمل مسلح يمثل هذه الولاءات الجديدة.

٥. ظهور قيادات ميدانية محفزة، تستطيع أن تستخدم الوسائل الجديدة التي قدمتها تطور العولمة في حشد الأعضاء وتكوين الجماعات السرية.

لكن استمرار هذه الجماعات يعني أن البنية الاجتماعية تعطيها قدرا من القبول والشرعية وهو ما يجب أن يأخذ في الحسبان لدى حساب إمكانية مواجهتها، وهنا يثور التساؤل حول الأسباب التي تدفع المجتمع لكي يكون أكثر قبولا للفاعلين العنيفين وما هو مصدر الشرعية التي يحصلون عليها سواء باستخدام الدين أو الأيديولوجيات السياسية أو غيرها(٣٠).

إن التساؤل الأساسي الذي يواجه الدبلوماسية في تحليل ومواجهة هذه القوى ما هي الأسس التي يبني عليها سلوك هذه الجماعات وهل تتحرك وفقا لمتطلبات أيديولوجية فقط أنها تتحرك وفقا لمعطيات الموقف السياسي- وبالتالي هل يمكن أن يقال أن سلوكها يقارن بسلوك الدولة أم أنها سلوك مختلف(٣١).

فمن الواضح أن الهدف الأول لهذه الجماعات هو التأثير على سياسات الدولة وعلى تحويل الانتباه الدولي لأجندة مختلفة يرونها أكثر مصداقية لكن دورهم لا يكون فقط في هدم الاستقرار- بل أن بعض المنظمات المانحة الدولية الغير حكومية- تتفق مع هذه الجماعات لحماية نشاطها وتوزيع المنح الإنسانية في أفريقيا وخصوصا في الصومال والكونجو والجنوب الأفريقي، وبالتالي تصبح عنصرا في الحفاظ على الأمن والاستقرار بشكل مختلف.

لقد جعلت هذه الجماعات تكلفة الحرب عالية بالنسبة للدول التي لم تتعود على مفهوم حرب العصابات وحروب الاستنزاف الطويلة War of Attrition كما جعلت الصراعات العسكرية في هذه المناطق تأخذ وقتا طويلا وضحايا كثيرين، ومن ذلك ما يحدث في أفغانستان وما حدث في العقد الماضي في العراق.

وأخيرا فإن بعض هذه المنظمات قد تحولت تدريجيا إلى منظمات غير عنيفة وتدخل الحياة السياسية المحلية وتسعى للاعتراف بها دوليا، ومن نماذج ذلك حزب الله اللبناني.

خامسا: **عناصر الاستمرار وعناصر التغير الدبلوماسي**.

بالرغم من التغيرات الجوهرية على البيئة الدولية التي تعمل بها الدبلوماسية إلا أن هناك العديد من عناصر الاستمرار في التقاليد الدبلوماسية والمهارات القديمة المرتبطة بالوظيفة الدبلوماسية.

إن هناك العديد من المفاهيم التي استمدت منها دبلوماسية القرن التاسع عشر والتي تركت أثرا على التغيير السياسي في عصرنا الحالي.

وهنري كيسنجر عندما حاول أن يدرس طبيعة العلاقة بين الدولتين الأعظم أثناء الحرب الباردة، استوحى المفاهيم والمهارات الدبلوماسية في عصر مؤتمر فيينا ١٨١٥م وكان كفاية عن عالم القرن التاسع عشر نموذجا استوحاه عندما طبق استراتيجياته ودبلوماسيته على صراعات الحرب الباردة في سبعينيات القرن الماضي.

إذ تطرح دراسته عن عالم القرن التاسع عشر تحت عنوان "عالم يعود" A World Restored- مفهومين أساسين شغلت بهما الدبلوماسية في هذه الفترة- وهو مفهوم توازن القوى ومفهوم الوفاق- ومازال المفهومين يمثلان الصيغة الأهم في دراسة طبيعة العلاقات بين الدول من المجتمع الدولي وطبيعة العلاقات بين القوى المختلفة في المجتمع العالمي.

وما تزال المعضلة التي واجهت الدبلوماسية الأوروبية في أثناء الحروب النابوليونية، حيث كيفية التعامل مع قوة ترفض النظام الدولي وأسس التعامل فيه وتحاول أن تفرض رؤيتها على القوى الأخرى- وكانت هذه الفترة- فرنسا النابليونية- مازالت هي المعضلة التي تواجه الدبلوماسية في القرن ال ٢١ في مواجهة قوى مثل إيران، ترفض النظام الإقليمي وتحاول أيضا الدخول في مصاف الدول النووية- رغم قواعد النظام الدولي.

كذلك ما تزال مفاهيم توازن القوى تمثل عنصرا أساسيا في تعامل القوى الغير حكومية المستخدمة للعنف- وبالتالي يطرح النظام الدولي مفهوم الوفاق في مواجهة هذه القوى- وهو ما حاولت إدارة الرئيس بوش الابن القيام به لمواجهة هجمات القاعدة من خلال تأسيسه بما يسمى تحالف الراغبين- كذلك تسعى الولايات المتحدة إلى إيجاد اتفاق عام بين الدول لمواجهة العنف والإرهاب.

إن المفاهيم التي استخدمها ماترينخ وتاليران وكالستيرج في بناء الوفاق الأوروبي بعد الحروب النابوليونية وأثناء مؤتمر فيينا ١٨١٥، ما تزال عنصرا هاما في الحياة الدبلوماسية.

كذلك ما تزال السفارات تقوم بدور هام رغم كل التطورات في الاتصالات المباشرة بين الدول وما تزال عملية التمثيل الدبلوماسي والقنصل- عنصرا هاما في العلاقات بين الدول، وزادت عليها أهمية التعامل مع القوى الجديدة في المجتمع والجاليات المختلفة المهاجرة وانتقال العمالة.

ومن هنا نطرح عناصر التغيير في التعامل مع المجالات الجديدة في التعامل الدبلوماسي وخصوصا التعامل مع وسائل الاتصال والتعامل مع الإعلام والرأي العام والتعامل مع القضايا المتخصصة وظهور ما يسمى بالدبلوماسية المتخصصة كما نشير إلى التشابك المتزايد من الشؤون الداخلية والخارجية والذي جعل الدبلوماسي يتحرك على مسرحين في نفس الوقت، المسرح الداخلي والمسرح الدولي ككل.

سادسا: الدبلوماسية والتكيف مع البيئة الجديدة.

كيف استطاعت الدبلوماسية أن تتكيف مع البيئة الجديدة التي خلقتها تسارع عناصر العولمة، سواء في ثورة الاتصالات وتزايد تأييد الرأي العام وتنامي دور المجتمع المدني وظهور القيم الإنسانية الجديدة(٣٢).

١) ثورة الاتصالات:

إن تطور الاتصالات مرت بخمس مراحل أساسية- أولها كانت مرحلة اكتشاف الطباعة ١٥٣٤م على يد جوتنبرغ الألماني وبعدها كان اختراع التلغراف عام ١٨٤٧م ثم اختراع التلفون عام ١٨٧٥م ثم الإذاعة عام ١٩٠١م ثم التلفزيون ١٩٢٧م ثم مرحلة الأنترنت التي بدأت في التسعينات(٣٣).

تأقلمت الوظيفة الدبلوماسية مع الثورة الأولى لعالم الاتصال- الطباعة بشكل بطيء حيث لم تنشر الدول المختلفة سياساتها وبياناتها إلا في منتصف القرن الثامن عشر.

لكن الوظيفة الدبلوماسية لم ترحب بالتلغراف ووجدت أنه يقضي على مبدأ السرية التي كانت به لفترات طويلة ثم بدأت تستخدمه في نهاية القرن التاسع عشر في رسائل مزمزة وأيضا لم يكن التلفون وسيلة أساسية في العمل الدبلوماسي لفترة طويلة- بل لم يكن الاتصال غير المباشر إلا من خلال حامل الحقيبة آو الرسل مقبولا بشكل عام. وكانت أزمة كوبا نموذجا للتحول الكبير في الاعتماد على الاتصالات التلفونية في الحياة السياسية الدولية.

عندما اتفقت الدولتان الأعظم- الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي على إنشاء الخط الأحمر مباشرة بين رئيسي الدولتين في ذلك الوقت، جون كينيدي وميخائيل غورباتشوف.

ولقد أثرت الإذاعة والتلفزيون على الحياة السياسية بشكل عام وجعلت الدبلوماسية تخرج إلى العلنية بشكل كبير، فأصبحت المؤتمرات والاجتماعات الدبلوماسية تغطي إذاعيا وتلفزيونيا وأصبح من المعتاد أن يقدم الدبلوماسيون تعليقات على لقاءاتهم في الإذاعة والتلفزيون عبر الاجتماعات وهو ما غير كثيرا طريقة تعامل الدبلوماسية وبدأت ما يسمى بالدبلوماسية العامة الآن.

وحتى الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ والتي اعتمدت على إرسال آية الله روح الله الخميني بخطاباته إلى الجماهير الإيرانية على شرائط الكاسيت وتهريبها إلى داخل إيران خلال حكم الشاه مما أدى إلى قيام المظاهرات والاضطرابات المتلاحقة التي انتهت بسقوط النظام البرجوازي وعودة الخميني من منفاه في باريس وإنشاء دولة ولاية الفقيه في إيران.

إن استفادة الحياة السياسية من شرائط الكاسيت أدت إلى أن يقوم الدبلوماسيون أيضا بتسجيل أحاديثهم ولقاءاتهم بشكل مكثف- كدليل على ما ذكروه في الاجتماعات والاستفادة منه في المستقبل بشكل حرفي.

وكانت الوظيفة الدبلوماسية أبطأ في الاستفادة من الانترنت حيث كانت هناك تعليمات من وزارات الخارجية المختلفة للدبلوماسيين بعدم استخدام الأنترنت في المراسلات الهامة أو التي لها طابع السرية، باعتبار أن الأنترنت مكشوف للجميع وخصوصا للدول ذات التطورات التكنولوجية العالية، ثم تطورت الأمور لتصبح الأنترنت وسيلة أساسية في التراسل الدبلوماسي، سواء السري أو العلني.

وواجهت استخدام الأنترنت مشكلة كبيرة بنشر وثائق ويكيليكس Wiki leaks وهو ما أدى إلى قيام إدارة الرئيس أوباما بإعادة النظر في طبيعة التراسل الدبلوماسي من خلال الأنترنت وتطوير وسائل الأمن الخاص بها، وما زالت هناك قيود على استخدامها حتى الآن.

ومن ناحية أخرى فإن إدارة أوباما أنشأت قسما خاصا في وزارة الخارجية الأمريكية لمتابعة الأنترنت وللرد على تساؤلات المواطنين أو الأجانب ولوضع أخبار الوزارة وسياساتها على صفحات متعددة باسم وزارة الخارجية الأمريكية.

هذا السرد لتاريخ مدى تكيف الوظيفة الدبلوماسية مع التطورات التكنولوجية في عالم الاتصال تعكس أيضا مدى تكيف الحياة السياسية بشكل عام مع التطورات التكنولوجية، وعلى حين أن الوظيفة الدبلوماسية لم تشهد تكيفا سريعا مع التكنولوجيا فإن الحياة السياسية شهدت تحركا سريعا في تكيفها مع التطورات التكنولوجية- ومن أهم النماذج التي تذكر بالنسبة لتكيف الحياة السياسية مع التطورات التكنولوجية هو ما يسمى بثورة الكاسيت.

٢) الدبلوماسية والتطور في دور المجتمع المفتوح:

يواجه الدبلوماسي التغيرات في المجتمع المحلي لبلده وفي المجتمع الذي يمثل بلده فيه ويتعامل مع مجتمعات مختلفة منها الأقليات من بلده والطوائف المختلفة التي ترتبط بثقافته ومنطقته مثل التجمعات الإسلامية والعربية والأفريقية.

كما يواجه الدبلوماسي التعامل مع المواطنين والانتماءات المختلفة وهناك مثلا نماذج لمواطنين بريطانيين يتحركون بشكل غير مسبوق لتأييد جماعات المعارضة في الشرق الأوسط ولدعم حقوق الإنسان.

كما يواجه الدبلوماسي مشكلة اتساع النطاق العام Public Sphere حيث يجد أن الإعلام والرأي العام في البلد الذي يعمل فيه يهتم بقضايا متعددة يعتقد أنها محلية أو أنها ذات خصوصية دينية

وثقافية وعليه أن يتعامل مع هذه التطورات من منطق جديد وليس من منطق الرفض كما كان في الماضي.

كما يواجه الدبلوماسي قضية إعادة تفسير الذكريات التاريخية القديمة- حيث تظهر بين الحين والآخر أطروحات إعلام أو قضية (سينما ومسرح) عن الذكريات الأليمة لشعب ضد شعب آخر مثال ذلك الحديث عن الحروب الصليبية في الشرق والغرب وإثارة عواطف البغضاء بين المجتمع بإعادة تقديم الذكريات التاريخية في منطق يتناسب مع القرن ال ٢١ وإطار المجتمع الدولي القائم على التعايش المشترك والتعاون السياسي والاقتصادي والثقافي(٣٤).

٣) الوظيفة الدبلوماسية والرأي العام:

أصبح الرأي العام عنصرا هاما في العمل الدبلوماسي، فكثير من الموضوعات العامة في العلاقات الثنائية أو الإقليمية أو المتعددة الأطراف تتحول إلى قضايا الرأي العام، وحيث نرى أن المجتمع المدني والتجمعات المدنية وطرق الاتصال الاجتماعي أصبحت تشكل عنصرا فعالا في تشكيل السياسات، فإن الدبلوماسية عليها أن تحسب تأثير هذه العناصر على تحركاتها والتوصيات التي ترسل بها إلى القيادة السياسية في الدولة.

من هنا نجد أن معظم الدول الكبرى قد أنشأت إدارات متخصصة للدبلوماسية العامة وهو ما يعرف بالاتصال الجماهيري والتعامل مع الرأي العام والتساؤلات المستمرة من الأفراد والجماعات.

وأصبح التواصل عن طريق الاتصال الاجتماعي Social Media عنصرا هاما في كافة المؤسسات الدبلوماسية سواء وزارات الخارجية أو السفارات والقنصليات والبعثات في الخارج، ويلاحظ أن بعض الوزراء والسفراء- رؤساء الدول- يستخدمون مثل هذه القنوات مثل تويتر وغيرها لتقديم ملاحظات وتعليقات يعتبرونها غير رسمية ولكنها في الواقع تعبر عن خطاب السياسة الخارجية، يريد المسؤول تقديمها بشكل غير رسمي- ومثال ذلك ما قام به الرئيس الإيراني روحاني على صفحته في التويتر في أول فترة توليه للرئاسة بإرساله مفادها أنه لا ينكر الهولوكست والتي أنكرها رئيس الجمهورية السابق (أحمدي نجاد)، كمبادرة من الرئيس الجديد نحو الغرب والولايات المتحدة بالذات.

بل إن الدبلوماسية الرقمية أصبحت الآن جزءا من عمل الوزارات الخارجية والسفارات وقد أنشأت الخارجية الأمريكية- أثناء تولي هيلاري كلينتون- مبنى خاص للدبلوماسية الرقمية لمراقبة الأحداث على الشبكة والرد على بعض التساؤلات وطرح بعض الأفكار على صفحة وزارة الخارجية، وقد قامت معظم السفارات بطرح صفحات خاصة بها، تجيب على تساؤلات المواطنين وتعطيها الحق في تقييم عمل السفارة أو البعثة وتقييم خدماتها.

إن المعلومات تنتقل بشكل مختلف خلال الاتصال- ولكنها لا تنتقل في فراغ Political Vacuum وبالتالي تتأثر بالإطار السياسي الذي تتحرك فيه وهو ما وصفه أحد الكتاب بقوله أن سياسات الرأي دخلت السياسات الدولية Word politics entered world politics.

٤) الدبلوماسية على مستوى إقليمي ومحلي:

أيضا تحركت الدبلوماسية لكي تربط بين المجتمعات ليس فقط على المستوى القومي وإنما أيضا على المستوى الإقليمي والمحلي، فوجدنا تحركا لتنظيم زيارات لحكام الولايات الأمريكية للخارج وبدأ التحرك عالميا لتطوير العلاقات بين الولايات والمحافظات والأقاليم.

ويمثل هذا التحرك انعكاس لزيادة العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الأقاليم وبعضها نتيجة لتطور وسائل الاتصال والنقل وغيرها.

٥) الدبلوماسية المتخصصة:

كانت من نتائج التحرك السريع نحو الاعتماد المتبادل Interdependence.

ثم العولمة أنه أصبحت القضايا التي تتعامل بها الدبلوماسية متعددة ومتنوعة ذات تخصصات علمية ومن هنا بدأ ظهور ما يسمى بالأنظمة المختلفة في المجالات العلمية والبيئية المتنوعة، فظهر ما يسمى نظام التعامل بالنسبة للبحار والمحيطات Regime ونظام التعامل بالنسبة للتحويلات المالية- أو أنظمة إنتاج الدواء.

وبالتالي لم تعد الدبلوماسية في إطارها السياسي قادرة على التعامل مع كل هذه القضايا، من هنا ظهرت ما يسمى بالدبلوماسية المتخصصة.

ويشير جوزيف ناي في كتابه عن Power & Interdependence أنه خمس الدبلوماسيين الأمريكيين العاملين في الخارج فقط من وزارة الخارجية أما الآخرون فمن وكالات ووزارات أخرى، وبالتالي فإن القضية الأساسية أمام العمل الدبلوماسي هو التنسيق بين هذه الوكالات والتأكد من عدم تحرك ممثليها إلى وكلاء مستقلين، بحيث يعوق التنسيق الشامل بين هذه المكاتب والوكالات في إطار السياسة العامة للدولة.

سابعا: الدبلوماسية ما بين السياسة الداخلية والخارجية.

من أهم الآثار الناجمة عن العولمة هو تشابك القضايا الداخلية والخارجية بشكل يجعل الوظيفة الدبلوماسية تتحرك على المسرحين الداخلي والخارجي في نفس الوقت.

فمعظم القضايا التي ظهرت بشكل أوضح في عصر العولمة أصبحت لها أبعاد داخلية، ولها مؤيدين ومعارضين من الداخل، تمثلها عندما تتعارض الدولة مع دولة أخرى بالنسبة لحقوقها البحرية، فإنها هنا تواجه مطالب من الصيادين، ومن الجمعيات البيئية ومن العملاء ومن رجال الأعمال الذين قد

تتأثر مصالحهم من تغيير الاتفاقيات على الحقوق البحرية، كما أن شركات التنقيب عن البترول وشركات النقل البحري ستكون أيضا شريكة في هذه المفاوضات بشكل ما.

من هنا أصبح من المهم أن ندرس الدبلوماسية ليست فقط أفضل الطرق للمفاوضات مع الطرف الآخر وإنما أيضا أن تدرس ماذا سيحدث في الداخل حالة الوصول لاتفاقية، وخصوصا السؤال الرئيسي: من سيدفع الثمن ومن سيستفيد ومن سيسيطر داخلي[٣٥]؟.

وتدخل قضايا متعددة في هذا الإطار المتشابك مع السياسات الداخلية سواء قضايا العمالة في الخارج أو قضايا النقل البحري والجوي أو القضايا المرتبطة بتسهيلات السفر والسياحة، ومن نماذج هذا أن اختلاف دولتين حول حقوق الطيران المدني في مونتريال عام ٢٠١٢م.

أيضا يجد الدبلوماسي نفسه محاطا بأسئلة وسائل الإعلام في بلده لدى وقوع مشكلة أو أزمة أو حادثة في البلدان الذي يمثل فيها بلده، وهنا يكون عليه أن يقدم تحليلا موضوعيا ولكن بأسلوب لا يؤدي إلى زيادة حدة الأزمة أو التوتر.

إن كل هذه العناصر سواء الاقتصادية أو الثقافية أو الاجتماعية التي زادت من خلال شبكات التواصل والتلاقي بين المجتمعات تجعل من عمل الدبلوماسي متعدد الأبعاد ولا تمكنه أن يمارس دوره بعيدا عن التطورات المجتمعية في العمل الدبلوماسي وفي البلد المرسل.

ثامنا: استشراف المستقبل

أصبحت جزء مهما من عمل الدبلوماسية هو استشراف المستقبل والتعامل مع تطور التكنولوجيا وآثارها على المجتمع ولم يعد دورها التقليدي من متابعة التطورات الحالية والتفاوض بشأنها- بل من المهم أن يقوم الدبلوماسي بمتابعة تطور المجتمع الذي يعيش فيه كي يقدم أهم هذه التطورات العلمية والاجتماعية الدولية ثم يقدم صورة مستقبلية للعلاقات بين دولته والدول التي يمثلها فيها.

الخاتمة:

الدبلوماسية ومنظومة القيم الإنسانية الجديدة:

من أهم التطورات التي شهدها المجتمع الدولي هو ظهور الحوار والتحليلات حول منظومة القيم الإنسانية المشتركة.

فقد ظهرت العديد من الكتابات والمقالات تتحدث عن أن هناك اختلاف في القيم ما بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية وهو ما أدى في نظر هذه الكتابات إلى ظهور الإرهاب وعدم احترام مبدأ حرمة النفس البشرية، كذلك ظهرت الكتابات عن صدام الحضارات وتفاعلها بشكل سلبي وأصبحت إحدى الموضوعات الأساسية في المؤتمرات والندوات واللقاءات التلفزيونية.

ويلاحظ أن منظومة القيم العالمية قد تحركت في اتجاهين:

١. ظهور اتجاه إلى صياغة القيم المشتركة بدأت منذ وضع ميثاق الأمم المتحدة وبلغت نجاحا كبيرا في وضع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م، ثم بدأت تصدر الإعلانات المتعددة عن المرأة والطفل والتعدد الثقافي وغيرها.

لكن هذا الاتجاه التقنيني (التقنيني أي وضع صياغة قانونية) فشل في أن يكون مؤثرا في السلوك السياسي[٣٦]، والاقتصادي والاجتماعي للدول والمجتمعات بشكل كبير، وهو ما يوضحه بتجارب مثل معاملة الولايات المتحدة لأسرى غوانتنامو أو التعامل مع القاعدة في اليمن أو غيرها من خلال طائرات Drone، القتل المتعمد دون محاكمة، وهو ما يستلزم أن يكون هناك حملات منظمة لتحقيق الالتزام بهذه القيم الجيدة.

٢. هو التصادم الجاري حاليا حول مفهوم القيم وتعريفها ومدى تطابق السلوك الدولي مع هذه القيم.

من هنا فإن الدبلوماسية الآن أصبحت معنية ليس فقط بالمفاوضات السياسية ولكن أيضا بمعرفة مفاهيم قيميه وفلسفية ترتبط بالثقافة والحضارة التي تمثلها.

الهوامش

(1) Koehane Robert, and Nye Joseph jr. Power and Interdependence, fourth edition, Pearson: New York, 2012
(2) Kissinger Henry A., Does America Need a Foreign Policy? Toward a Diplomacy for the 21st Century. Simon & Schuster NY, 2001
(3) Berridge, G.R. Diplomacy: Theory and Practice, New York, Pelgrave Macmillan fourth Edition 2010
(4) Rosenau
(5) Koehane Robert, and Nye Joseph jr. Power and Interdependence, fourth edition, Pearson: New York, 2012
(6) Appardural, A . (1996): Modernity at Large: Cultural Dimensions of Globalization, Minneapolis: University Minnesota Press
(7) Mathews, J.T. (1997): Power Shift: Carnegie Endowment for International Peace, pp 1-7
(8) Mittelman, J. H. (2000) : The Globalization Syndrome: Transformation and Resistance: Princeton University Press
(9) Balaam, David N. and Bradford Dillman Introduction to International Political Economy (Pearson Longman New York, 2011)
(10) Samuel Huntington: The Third Wave: Democratization in the Late Twentieth Century. Narman, OR: Univeristy of Oklahoma Press, 1991

(11) Mead, Walter Russel, The Tea Party and American Foreign Policy: What Populism Means for Globalism, Foreign AffairsMarch 2011
(12) Friedman, Thomas. The World is Flat . April 5, 2005. (Farrar, Straus and Giroux)
(13) Friedman, Thomas. The World is Flat. April 5, 2005. (Farrar, Straus and Giroux)
(14) Balaam, David N. and Bradford Dillman Introduction to International Political Economy (Pearson Longman New York, 2011)
(15) Kissinger Henry A., Does America Need a Foreign Policy? Toward a Diplomacy for the 21st Century. Simon & Schuster NY, 2001
(16) Strange, Susan "What is Economic Power and Who Has It?" International Journal 30 (Spring 1975): 219
(17) Strange, Susan "What is Economic Power and Who Has It?" International Journal 30 (Spring 1975): 219
(18) Globalisation and Diplomacy Iver B. Neumann Norweigen Institute of International Affairs No 724-2007.
(19) Power and interdependence ....p3,"a new national partnership," Speech by Secretary of state A. Kissenger at Los Angelos, January 24, 1975. News release, Department of State, Bureau of Public Affairs , Office of Media Services, p. 1
(20) A World Restored. Abid. P. 25.
(21) Akin Iwilade, The Impact of Globalisation on Diplomacy, akiniwilade. blog.

(٢٢) إيمان رجب، القوة المنافسة: مداخل تحليل الفاعلين العنيفين من غير الدول في المراحل الانتقالية، د/ خالد حنفي، اتجاهات نظرية في تحليل السياسة الدولية، ملحق مجلة السياسة الدولية، عدد إبريل ٢٠١٣م، ص١١.

(٢٣) أحمد يوسف أحمد، الجامعة العربية: حديث الستين عاما.

http://www.ahmedyoussef.com

(22) Devetak Richard, Burke Anthony. An Introduction to International Relations. ***2nd*** edition. Cambridge.
(23) Balaam, David N, Bradford Dillman; Introduction to International Political Economy, 5 th Edition.
(24) Keohane / NYE . Power and Independence. 4th edition. Longman classics in political sciences.
(25) Akin I wilade, The Impact of Globalisation on Diplomacy, akiniwilade. blog.

(26) Meyer, J. (1997): World Society and the Nation State: American Journal of Social Sciences. - —
(27) Geoffery R.d Underhill, Andreas Bieler , And Richard A.higgott (Eds.), Nonstate Actor And Authority In The Global System, (London: Routledg, 2000) Pp. 1-4.

(٣٠) إيمان الرجب، القوة المنافسة: مداخل تحليل الفاعلين العنيفين من غير الدول في المراحل الانتقالية، د/ خالد حنفي، اتجاهات نظرية في تحليل السياسة الدولية، ملحق مجلة السياسة الدولية، عدد إبريل ٢٠١٣م، ص١١.

(28) A world restored . Ibid .
(29) Globalisation and Diplomacy Iver B. Neumann Norweigen Institute of International Affairs No 724-2007.
(30) Ibid.
(31) Appardural, A . (1996): Modernity at Large: Cultural Dimensions of Globalization, Minneapolis: University Minnesota Press.
(32) Keohane/ NYE . Power and Independence. 4th edition. Longman classics in political sciences.
(33) Cardoso, F. H. (2006): Predatory Globalization: A Critique: Princeton University Polity Press.